إبداع طالبات جامعة قطر..

تراث معالج تكنولوجياً

الدوحة- سيد علي إسماعيل

التراث.. كلمة خلابة تتغلغل في وجداننا.. نشعر بجمالها ومعناها مهما حاولنا تعريفها تعريفاً لغوياً أو اصطلاحياً، أو حاولنا الكتابة عنها بصورة علمية أكاديمية في بحوثنا، أو في كتاباتنا، وبالرغم من كل ذلك، سيظل لكلمة (تراث) مذاق خاص في نفوسنا، لا نستطيع تحديده، ولا الإمساك به، أو وصفه بكلمات بليغة؛ ولهذا السبب يتمسك الإنسان بتراثه، ويظل محافظاً عليه، مهما تطور، وتطورت الحياة من حوله، ومهما بلغت التكنولوجيا والحداثة مداهما في التقدم والازدهار!

جامعة قطر والتراث

المثال الأبرز على ما سبق هو دولة قطر، وتحديداً جامعة قطر التي وصلت إلى درجة عالية من التقدم والتطور العلمي والتكنولوجي، وانعكس هذا التطور على طلابها وخريجيها، وبالرغم من ذلك ظلت الجامعة مرتبطة بتراثها الخليجي، وهذا الارتباط تمثل في اللوحات الضخمة المنتشرة في ساحات الجامعة الخارجية، وبين أروقتها، وعلى جدران أبوابها الداخلية، وبين حدائقها، وبجوار أشجارها الضخمة.. إلخ، وهذه اللوحات من تنفيذ طالبات قسم التربية الفنية بكلية التربية، ما يعني أن الطالبة القطرية التي وصلت إلى تقدم مُبهر في استخدامها للتكنولوجيا، ما زالت مرتبطة بتراثها الخليجي.. والسؤال الآن: كيف وظفت جامعة قطر إمكاناتها التكنولوجية في إبراز التراث الخليجي وإحيائه؟ وكيف وظفت الطالبة القطرية تكنولوجياً، إمكاناتها التكنولوجية في الحفاظ على تراثها الخليجي؟

التراث بين الجامعة وطلابها

بالنسبة للجامعة؛ فقد وظفت إمكاناتها التكنولوجية من خلال قسم التربية الفنية بكلية التربية في صورة مقرر (التصميم بالكمبيوتر)، الذي يقوم على تدريسه الدكتور محمد علي عبده، وهذا المقرر يقوم على إلمام الطالب القطري بمكونات الكمبيوتر، وكيفية استخدامه وتوظيفه في مجال الفنون البصرية، والتعرف على إمكاناته كأداه تكنولوجية حديثة يمكن توظيفها في مجال الفن، مع التركيز على استخدام برنامج خاص بذلك في التصميم بمختلف فروعه، بجانب التدريب على العديد من برامج الرسم بالكومبيوتر بهدف إنتاج أعمال فنية مبتكرة.

ولو أمعنا النظر في الهدف المتوخى من وراء دراسة هذا المقرر نظرياً وعملياً، سنجده متمثلاً في إنتاج أعمال فنية مبتكرة! فهل قام الطلاب بالفعل بإنتاج أعمال فنية مبتكرة؟ وربما يظن القارئ أن الأعمال المقصودة ستكون متطورة تكنولوجياً، وستكون حديثة تتعلق بالمناظر الطبيعية أو الصور العالمية أو أو.. إلخ، لكن الغريب أن الطالبة القطرية استطاعت أن تمزج إمكانات الجامعة المتطورة تكنولوجياً بتراثها الخليجي، وتخرج من هذا المزيج بلوحات تراثية رائعة تحمل الصفتين معاً (التراث والمعاصرة)، فقد استخدمت الكومبيوتر وبرامجه المتنوعة في إنتاج تراث خليجي متطور في مفهومه، رائع في تصويره. وبهذا المزج برهنت الطالبات القطريات الفنانات أن تراثهن الخليجي جزء من وجدانهن لا يفارقهن أبداً مهما تطورت أدواته الفنية.

> طالبات قسم التربية الفنية طوعن الكمبيوتر لإنتاج لوحات تراثية بأساليب حديثة

اللوحات التراثية

على سبيل المثال نجد لوحة (الصيف) لعائشة الجابر، واستخدمت فيها تقنيات الكومبيوتر وبرامجه في لصق صورة للناقة، تشغل مساحة كبيرة ممثلة لبؤرة الرؤية والمركز المهم في اللوحة، مع وضع ظل للناقة كأنه ظل حقيقي. ومن خلف الناقة جاءت الكثبان الرملية بظلالها المتنوعة، تتخللها بعض الوديان الخصبة بما تشتمل عليه من أشجار ونخيل، وقد شمل هذا المنظر رُبع الصورة تقريباً، ثم جاءت الطالبة بكلمة الصيف باللغة الإنجليزية في حجم كبير، دلالة على امتزاج التراث بالمعاصرة، ومن فوق الكلمة جاءت بكثبان رملية قاحلة يتخللها فارس يمتطي جواده، وركبي يمتطي ناقته. واللوحة في مجملها تجسيد للتراث الخليجي، لا سيما صورة الصحراء بمظاهرها البدوية في فصل الصيف، من خلال تركيب تكنولوجي بواسطة الكومبيوتر لمفردات هذا التراث المتنوعة.

أما لوحة الهنوف السبيعي فجاءت بسيطة في معناها ومبناها، حيث تمثلت في مراكب الصيد والغوص في مياه الخليج، وعلى الشاطئ منزل تراثي قديم، وخارجه البئر والنخلة، ومن الواضح أن الطالبة لم تستفد من إمكانيات الكومبيوتر المتنوعة، فجاءت مكونات اللوحة بنسب غير متناسقة، على الرغم من

أنها مكونات تراثية خليجية، تُجسد ارتباط الطالبة بتراثها ومزجه بالمعاصرة.

وعلى النقيض من ذلك جاءت لوحة أمل أحمد الجابر، التي جسدت فيها مظاهر تراثية قطرية متنوعة. فاللوحة بانوراما تراثية قطرية، تبدأ بقلعة الزبارة الشامخة في بنائها وتاريخها، وبجوارها محارة كبيرة مفتوحة لتظهر اللؤلؤة بلمعانها الخلاب، تذكرة بتراث الغوص وتاريخه في نفوس الخليجيين، وفوق القلعة تأتي محلات سوق واجف (واقف) التراثية بما تشتمل عليه من مقتنيات تراثية خليجية قديمة وقيمة في معناها، وفوق المحارة بوابات داخلية لأحد القصور من الداخل بأعمدتها وزخارفها التراثية، وفوق هذا كله يرفرف علم قطر وسط نماذج من ميادين قطر الشهيرة، مثل ميدان الدلة والغزلان. الجميل في هذه اللوحة استخدام تقنية الكومبيوتر بصورة لافتة، بحيث يشعر الناظر كأنها لوحة متكاملة متداخلة العناصر، لا بوصفها تركيباً لهذه المفردات التراثية.

وإذا تطرقنا إلى لوحة إيمان كافود سنجدها بسيطة في تركيبها، كبيرة في معناها، حيث جاءت في مستواها السفلي أبنية ظلالية تُمثل البيوت والمساجد، وبقية اللوحة في مساحتها الكبيرة عبارة عن فانوسين (مصباحين) تراثيين في مستويين مختلفين في القُرب والبُعد. وظهرت تقنية الكومبيوتر في انتشار ضوء الفانوسين على مساحات اللوحة، لا سيما الجانب الأيسر منها.

وقامت حصة ناصر بتنفيذ لوحة تراثية؛ بها طفلة مرتدية الملابس الشعبية القطرية بزخارفها الخلابة، وهي الملابس التي يرتديها الأطفال في الأعياد واحتفالات (القرنقعوه)، والطفلة جالسة ممسكة بالمصحف الشريف وتقرأ في خشوع آيات بينات منه؛ وخلف الطفلة جاءت مئذنة المسجد التراثي شامخة؛ دلالة على شموخ الإسلام في قطر، وفي بقية الأقطار الخليجية والعربية والإسلامية.

وفي لوحة سارة المانع، نعود إلى تراث البحر مُمثلاً في مراكب الصيد والغوص، والشباك من مظاهر الصيد التراثية. وفي لوحة عائشة السادة نعيش مع الأمومة في صورة امرأة قطرية بملابسها التراثية ذات الحشمة والوقار، ممسكة بمغزلها وبجوارها لفائف الخيوط الصوفية في ملمح تراثي كاد أن يختفي من الحياة الاجتماعية الخليجية؛ فجاءت هذه اللوحة لتعيده إلى الأذهان مرة أخرى، إلى مخيلة شباب اليوم استفادة منه في الحفاظ على التراث الخليجي. وفي لوحة عفاف درويش نجد قلعة الزبارة شاهدة على تاريخها المعروف، وأمامها أحد المدافع القديمة شاهداً على نضال الشعب وقت ازدهار القلعة والمنطقة قديماً. وفي لوحة منال الصوفي نجد ارتباطاً بين الجرار والبراجيل والنخيل، وجميعها مفردات تراثية خليجية أصيلة. وكذلك الأمر في لوحة نورة الحبابي المشتملة على عناصر التراث الخليجي من المبخرة والمرش وقنينة العطر.

ومن اللوحات المميزة، كانت لوحة فلوة صالح الهاجري المتكونة من عبارة واحدة «محمد صلى الله عليه وسلم». فهذه العبارة رسمت بحجم كبير على شكل ناقة، ثم تكررت العبارة بأشكال مختلفة في جميع أجزاء اللوحة، بحيث يقرأها الناظر إليها في كل جزئية من اللوحة بشكل منفصل؛ رغم تداخلها في ثنايا بعضها بعضاً؛ وما يميز عبارة عن أخرى، أو تنسيق عن آخر هو اللون المميز لهذه العبارة عن تلك، أو هذا التنسيق عن الآخر. كما تميزت تشكيلات العبارة في شريطين متعامدين؛ كأنهما شريطان زخرفيان من أشرطة ورق الحائط المزركش، ناهيك عن ظلال العبارة الموجود في اللوحة، مما أعطى شعوراً بأهمية الخط العربي ومدى تأثيره التراثي في وجداننا، لا سيما العبارة المُشكلة للناقة. وللطالبة نفسها لوحة أخرى وضعت بالقرب من الأولى، استخدمت فيها الحروف العربية بصورة مفردة وبألوان جميلة، وشكلت من هذه الحروف المتناثرة المتداخلة – في آن واحد – مبخرة تراثية غاية في الجمال والتشكيل التراثي بواسطة حروف لغتنا العربية الجميلة.

أما لوحة مريم السادة فقد نفذتها باقتدار من خلال إمكانات الكومبيوتر وبرامجه؛ حيث استخدمت صورة لفانوسين (مصباحين) تراثيين خليجيين بصورة مختلفة في التوظيف الفني ثلاث مرات، عندما لصقت صورة الفانوسين في وضعهما الطبيعي المعتدل، ثم أخذت نسخة من الصورة وجعلتها مقوسة، لتكون حداً مائلاً لجانب بوابة تراثية، ثم أخذت البوابة والفانوسين المقوسين ووضعتها في بوابة أو دائرة مستقلة أسفل اللوحة. وبهذا التكرار والتنوع يتخيل للناظر أنه يرى ثلاثة مناظر مختلفة للفانوسين، رغم أنهما من صورة واحدة، تمت معالجتها تكنولوجياً. وهذا التركيب الثلاثي للفانوسين يحيط بوجه أم قطرية ترتدي الملابس الشعبية، لا سيما البرقع الذهبي التراثي المعروف، وخلف هذا الوجه باب تراثي ذو زخارف عربية إسلامية، وهكذا استطاعت الطالبة تكوين صورة تراثية مستخدمة الوسائل التكنولوجية المساعدة لها عبر برامج الكومبيوتر.

الخط العربي، وعناصر التراث المحلي والخليجي حضرت بقوة في لوحات الطالبات

وتعد لوحة هيا المهندي من اللوحات اللافتة للنظر لما احتوته من بانوراما تراثية قطرية، ومدى معالجة مفردات هذه البانوراما بالوسائل التكنولوجية عن طريق برامج الكومبيوتر. فخلفية اللوحة بأكملها عبارة عن محارة كبيرة فيها لؤلؤة لامعة، والمحارة واللؤلؤة أخذتا خلفية بلون فاتح باهت لا يُرى بصورة مباشرة؛ وكأنهما سحاب في السماء، وهذه الخلفية غير المرئية، تستطيع تبين حقيقتها بأنها محارة بعد إمعان النظر بدقة في اللوحة بأكملها. وفي المستوى الأعلى من المحارة تأتي أبراج قطر الشامخة، دلالة على البناء المعاصر والحديث، وأسفل الأبراج تأتي مياه الخليج وعلى شاطئها نجد نموذجاً من القرية التراثية القطرية، وهو بناء تراثي قديم وحوله الأبراج الحديثة تحتضنه، وكأن المعاصرة رغم تقدمها، تحتضن التراث القطري محافظة عليه. وبجوار هذا كله تأتي خريطة قطر وعلم الدولة رمزين للوحة؛ مؤكدين على هوية صاحبتها.